مساهمات أبوراس الناصري المعسكري

في الدراسات التاريخية

الدكتور الحاج عيفه
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعدالله

تعتبر معسكر موطن العلماء والفقهاء والمؤرخين اشتهرت منذ أقدم العصور بمدارسها، وقد عرفت بكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها، فكانت منارة العلم والعلماء حيث كان العلماء من جامع الأزهر والزيتونة يأتون لها للحصول على شهادة مشايخها، وأبوراس الناصري واحد منهم "هو محمد أبو راس الناصري المعسكري الجزائري بن أحمد بن ناصر الراشدي العلامة المحقق الحافظ ،الجامع المتدفق الإمام القدوة المتفنن في العلوم الإسلامية وحافظ للحديث النبوي". وُلد بنواحي مدينة معسكر بالجزائر يوم 8 صفر/1165 27ديسمبر 1751م، وتوفي يوم 15 شعبان 1238هـ 27 /أفريل 1823م، ودُفن بمعسكر.

وكان قد شارك في الجهاد لفتح مدينة وهران سنة 1206هـ/ 1795م، إلى جنب الباي محمد بن عثمان . يعتبر ثاني كبار رجالات معسكر بعد الأمير عبد القادر.

يقول أبو القاسم الحفناوي في كتابه : **تعريف الخلف برجال السلف** بما أنه من أوثق المصادر المعتمدة في تراجم الرجال بالمغرب العربي:

"العلامة المحقق الحافظ البحر الجامع المتدفق اللافظ من هو ليث الدين أوثق أساس وأضوأ نبراس الإمام القدوة المتفنن سيدي محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري كان رحمه الله ورضي عنه إماما في المعقول والمنقول وإليه يرجع

في الفروع والأصول، ورحل في طلب العلم واكتساب المعارف، وافى الأفاضل من أهل مصر وتونس وفاس وأخذ عنهم التالد والطارف ودرس وأفاد ورفع منار العلم وأشاد وكان يدعى في زمانه الحافظ لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسائله حتى كأنّ العلوم كتبت بين عينيه وله تآليف مفيدة بديعة سارت بها لعزتها الركبان واشتدت إليها لنفاستها رغبة القاصي والدان فمنها رحلته التي ذكر فيها سياحته للمشرق والمغرب وذكر من لقي فيها من الأعيان وجرت فيه المذاكرة بينهم وما يتزه الطرف فيه ويتعجب ومنها حاشيته على الخرشي مع الزرقاني وحاشيته على السعد وحاشيته على المكودي وشرح مقامات الحريرية وشرح الشمقمقية وشرح حلله السندسية وكتاب التأسيس وكتاب درء الشقاوة وغير ذلكن توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركاته عام ثمان وثلاثين ومائتين وألف (1238) وقد جاوز التسعين وصلى عليه ألف وخمسمائة نفس بتحرير من حضر جلهم حملة قرآن وعلماء واشراف وكان إمام الجميع تلميذه سيدي أحمد الدائح رحمه الله ودفن بمعسكر على شاطئ النهر الفاصل بين داخل البلد وقريته بابا علي وعليه بناء مشهور. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما"[1].

نبغ في شتى مجالات العلوم الشرعية واللغوية فضلا عن إهتماماته الواسعة بميدان الدراسات التاريخية بقسميها المحلية والعامة وبحكم البيئة التي عاش فيها فإنه إستطاع أن يفرض نفسه وينافس علماء عصره آنذاك، فقد شغل مناصب عدة لها تأثير كبير على حياته العلمية وتكوينه الثقافي بشكل عام.

لقد كان رائدا من رواد الحركة الإسلامية ومربيا جليلا إرتبط إسمه بالنهضة الإسلامية، فصار علما لها وعنوانا لنجاحها وتفوقها وإستمرارها على طريق الحق والهداية، نشأ على يديه أجيال من المفكرين والدعاة والعلماء .

لقد كانت حياة أبي راس الناصري مليئة بالعلوم والمعرفة تتخللها مناظرات ونقاشات مع سائر علماء الأمصار، ورغم الظروف الإجتماعية السيئة وذوقه لمرارة العيش وحياة اليتم غير أنها كانت من الأسباب المحفزة له لمواصلة مجال المعرفة وتصدر أعلى المراتب فيما بعد. لم تكن حياته تخلوا من المغامرة والدسائس، حيث رمي من قبل خصومه الحاسدين بالمشاركة في ثورة درقاوة ضد الأتراك 1217هـ/ 1802م . خاصة و أنه كان مقرب من الحاكم التركي حينها، مما جعله يهرب إلى الجبال، حتى أنطفئت نار الغضب، فعاد الى معسكر وألف كتاب بعنوان : "درء الشقاوة في حرب درقاوة ".

نسبه

هو محمد أبوراس محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن عبد الله بن عبد الجليل[2] الراشدي كما سبق ذكره ،[3] وبقي بقلعة بني راشد[4] قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري بين جبل كرسوط[5] وهونت[6] . تقريبا في منطقة وزغت جنوب مدينة معسكر، وقريبا من مدينة سعيدة.

أخذ القرآن وأحكامه عن والده وشيوخ مسقط رأسه وأتقنهما حتى أنه كان يقرئ الكبار و لم يبلغ الحلم بعد.

أمّه اسمها **زولة**، وكان يشبّهها بالسيدة **رابعة العدوية** في زهدها وخشيتها. وكان أبوه من القرّاء الماهرين، والأساتذة المشهورين. جدّه وصفه بأعجوبة الزمان في الولاية والصلاح والفضل الفضيل. وعلى نهجهم كانت أخته السيّدة (**حليمة**) وأخواه (**بن عمر**) و(**عبد القادر**).

بعد موت أبيه وأمه تكفل به أخوه الأكبر عبد القادر رحمه الله فترعرع في ذلك الجو العائلي العلمي القرآني وشب فيه .

تولى الخطابة والقضاء في منطقة غريس ورحل وناظر أقرانه في رحلاته ودرس كثيرا خاصة في المدرسة التي أسسها الباي مصطفى المعروف ب " بيت

المذاهب الأربعة " وذلك لتحريره في ذلك الزمان المعروف بالتعصب، ومن هنا لقبه بعضهم بمفتي المذاهب الأربعة وصنف وألفن وسارت الركبان بمصنفاته ومدحتها الأعلام وتداولوها في زمانه حتى ذكر كثيرا منها صاحب كتاب "القول الأحوط في التداول من العلم وكتبه في المغربين الأقصى والأوسط" وهذا يدل على أن العلماء تداولوها في حياته كما يفهم من العنوان .

هذه الشخصية كان لها أثر كبير في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية للجهة الغربية خلال فترة الباي محمد بن عثمان الكبير[7]، ومازالت ذريته الى الآن بنواحي غريس خصوصا بنواحي مستغانم، وهؤلاء ينتسبون الى أبي راس الحفيد أبوراس المازوني [8]

قال الشيخ بن بكار مفتي مدينة معسكر:" والشيخ أبوراس فقيه مازونة المشهور هو حفيده ."

وقد أكد أبوراس على شرعية نسبه بإنتمائه الحسيني ونسبه النبوي وإرتفاعه الى البيت الكريم بقوله :" قد شهد لي بالشرف السني والنسب النبوي الكريم الشيخان، مصطفى بن مختار، وتلميذه الشيخ سيدي عبد القادر بن سنوسي ."[9]

هذا النسب يبين لنا بأننا أمام عالم يمتاز بفكره الإسلامي وعلمه المجدد في سياق التواصلية الثقافية .

لقد إكتملت فيه أوصاف تجمع بين العلم والشجاعة والنسب بحق عارف زمانه وفريد عصره .

شيوخه :

تعلّم الشيخ أبو راس على والده أول الأمر، فحفظ على يديه معظم القرآن الكريم، لكنّه أتقنه على يد الشيخ منصور الضرير.درس الشيخ أبو راس على علماء (معسكر) إذ تتلمذ الإمام أبوراس على عدد من الشيوخ والأئمة من كل المذاهب الفقهية حتى أنه كان يفتخر بكثرتهم مما حمله على تأليف ثبت لشيوخه أسماه " لب

أفياضي في عدة أشياخي"[10] وإن كان قد أشار إلى بعضهم في كتابه " فتح الإله "، ولذا يصعب ذكرهم بل سأقتصر على المشهور منهم :

1- الإمام محمد بن محمد مرتض الزبيدي أبو الفيض الحنفي [11] صاحب التآليف الشهيرة مثل " إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين "، وكتاب " تاج العروس في شرح القاموس " وهو الذي لقّبه بالحافظ، أخذ عنه في القاهرة.

2- محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأزهري المشهور بالأمير[12] صاحب الشروح والحواشي الفقهية واللغوية[13].

3- عبد الله بن حجازي الشرقاوي الأزهري الشافعي صاحب الكتب النافعة مثل "فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي "ترجم له أبوراس وأثنى عليه في" فتح الإله ".

4- عثمان بن عبد الله النجدي الحمبلي صاحب كتاب " عنوان المجد في تاريخ نجد " أشار إليه أبوراس في " فتح الإله "[14].

5- عبد القادر بن عبد الله المشرفي أبو المكارم صاحب كتاب " بهجة الناظر في أخبار الدخلين تحت ولاية الإسبان كبني عامر "[15].

6- الشيخ السيد العربي بن نافلة صاحب الأصول والفروع، قرأ عليه أبوراس المختصر[16].

7- الشيخ محمد الصادق بن أفغول صاحب مدرسة مازونة كان من أجلاء أشياخ أبي راس جامعا للفنون وعلومها بارعا في علم الحديث[17].

8- الشيخ محمد بن جعدون قاضي مدينة الجزائر أو شيخ الجماعة بالجزائر[18].

9- الشيخ القاضي عبد الرحمن التلمساني من علماء المذاهب الأربعة الشيخ أحمد بن الحاج المانوي[19].

10- الشيخ المفتي أحمد بن عمار، إشتغل بالحديث والتاريخ وكان مفتي الجزائر[20].

11- الشيخ علي الأمين الجزائرين مفتي المالكية بالجزائر[21].

12- الشيخ إبن قيزان، قاضي فاس ومفتيها[22].

13- الشيخ محمد بن الفكون، أديب نحوي محدث أخذ عنه أبوراس أصول النحو والصرف[23].

14- الشيخ علي المغيلي، من فقهاء المالكية من أهل مازونة أخذ عنه أبوراس الفقه ومبادئ التوحيد[24].

15- الشيخ محمد بيرم، أخذ عنه أبوراس علم الفقه والتوحيد ومبادئ اللغة[25].

16- محمد بن مولاي بن سحنون قاضي معسكر.

17- الشيخ عبد الرحمن التادلي، من علماء المغرب

18 – الشيخ أحمد بن عبد الله السوسي، من علماء تونس.

19- الشيخ أحمد بن عمّار الجزائري، صاحب الرحلة الشهيرة وهو من فقهاء مدينة الجزائر وشعرائها.

كما انتقل الشيخ أبو راس إلى مدينة **مازونة** وانكب يأخذ من كبار أشياخها خاصة في الفقه و مختصر خليل.

وكان لأبي راس عند علماء عصره مكانة عالية قد لا يرقى إليها غيره خصوصا وأن الشيخ له هيبة بين أوساط مجتمعهن فهو يحظى بأهمية كبيرة عند من يقدر مكانة العلم والعلماء، ومهنة القضاء التي إمتهنها أبوراس وإن لم يكن يرغب فيها إلا بطلب السلطة التركية منه .

كما يعد أ بوراس من بين العلماء البارزين الذين زخرت بهم كتب التراجم وقد خلف لنا تراثا علميا ضخما لايزال الى الآن موضع إهتمام وعناية الكثير من الباحثين والمؤرخين .

أسّس الشيخ أبو راس بوسط مدينة معسكر مدرسة عرفت بالمدرسة المحمدية أو مكتبة المذاهب الأربعة، وذلك لتحرره العلمي في ذلك الزمان المعروف بالتعصّب، فقد كان يُفتي طلبته بالمذاهب الأربعة المعروفة عند أهل السنة والجماعة، وقد بلغ عدد من حضر دروسه فيها المئات.

حتى أن المسجد ورحابه كان يضيق بطلبة العلم وكذلك يلقي دروسا في بيت المذاهب الأربعة ومنهم الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله[26]ن والشيخ عثمان الموسوي الهزاري .[27]

أجازه الشيخ أبوراس والشيخ بن القندوز[28]، والشيخ بن تكوك مؤسس الزاوية السنوسية بالمغرب الأقصى[29]، الشيخ أحمد الدايج الذي أخذ عن الشيخ أبي راس المعقول والمنقول، والشيخ محمد بن يوسف الزياني صاحب كتاب "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران " وهو ناسخ أحد كتب أبي راس في التاريخ، والشيخ الأمير عبد القادر درس على أبي راس بمعية الشيخ الطيب بن فريح[30].

قد بلغ عدد من حضر دروسه فيها المئات، حتى بلغوا 780 طالبا .

رحلاته:

عرف أبي راس الناصري بكثرة رحلاته المتعددة داخل الجزائر وخارجها إلى الأمصار مقلدا بذلك السابقين من العلماء وقد سجل بعض تلك الرحلات في الباب الثالث من سيرته الذاتية، ومن البلاد التي زارها : وهران، والجزائر[31]، وتلمسان[32]، وقسنطينة [33]، وتونس[34]، ومصر، والشام، وبيت المقدس، والرملة، وغزة،[35] والعريش، ونحوها. كما حج مرتين، الأولى سنة 1204هـ، والثانية سنة 1226ه، وقد كان خلال هذه الرحلات حرصا على الالتقاء بالأمراء والعلماء ومناقشتهم . حيث تقول الأستاذة سميرة "لم يكتف أبو رأس الناصري بالتنقل بين مدن الغرب الجزائري فحسب بل تنقل إلى مدينة الجزائر فقسنطينة، ثم تونس و مصر و الحجاز ثم الشام و فلسطين و كان بدء سفره إلى المشرق سنة 1204هـ و عرف أبوراس الناصري في هذه البلدان بعلمه الواسع وكثرة حفظه، حتى لقب في مصر بشيخ الإسلام و صار عند المصريين شهيرا بعد امتحانهم له " و في نفس المنوال يقول عنه الدكتور عبد الحق زريوخ "...ثمّ ركب البحر إلى مصر، ولقي بها

أهل العلم والأدب، منهم الشّيخ مرتضى الذي روى عنه أوائل "الصّحيحين"، و"رسالة القشيري" في التصوّف، و"مختصر العين"، و"مختصر الكنز الراقي" كما لقي الشيخ عصمان الحنبلي الذي قرأ عليه المذهب الحنبلي ...

ثمّ رحل إلى مكّة، واجتمع بعلمائها وفقهائها، كالعلامة عبد الملك الحنفي المفتي الشّامي القلعي (ت 1229هـ) الذي أخذ عنه بعضاً من الحديث، ونبذة من "الكنز"، وشيئاً من التفسير و مثل مفتي الشّافعية عبد الغني، ومفتي المالكية الحسين المغربي الذي جالسه طويلاً، كما اجتمع، بمكّة، بالشّيخ العارف المشارك عبد الرّحمن التّادلي المغربي، وقرأ عليه شرح العارف بالله ابن عبّاد على "الحكم" ثمّ طوّف بالمدينة المشرّفة، وكان له بها مناظرات وأبحاث مع علمائها ويبدو أنّ هذه الرّحلة كانت رحلة روحية، لأنّ أبا راس وجد الفرصة في زيارة ضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم، وضريحي صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقبور الصّحابة بالبقيع.

ثمّ رحل إلى الشّام، وتحدّث إلى علمائها في مسألة من "الحبس" نصّ عليها الشّيخ أبو زكريا ابن الخطّاب (ت 995هـ) ونهاية، رجعوا إلى رأيه ووافقوه بعد الدّليل القاطع، بل جمعوا له مالاً كثيراً عندما أراد السّفر تكريماً له وتعظيماً، وبعد ذلك، دخل "الرّملة" إحدى مدن فلسطين، ولقي مفتيها وعلماءها، وكان بينهم مفاوضات حول "الدّخان" و"القهوة"، فأجابهم بما ذكره نصّ أبي السّعود (ت 951هـ)، فأكرموا وفادته، وبعدها، رحل إلى غزّة فزار قبر هاشم ثالث آباء النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولقي علماءها وأعيانها، فأكرموا ضيافته وكان بينه، كعادته، وبينهم مناظرات في مسائل مختلفة، اعترفوا له بها بالفضل وسعة العلم، إلاّ أنّه لم يجد عالماً واحداً يعوّل عليه كما يذكر عندما غادر إلى العريش."

كما تتلمذ على كثير من العلماء و الفقهاء في عصره، فنهل من علمهم و ارتوى من مشربهم حيث يقول عن نفسه، أن أول من تتلمذ على يده والده الشيخ أحمد

الذي قرأ عليه شيئا من سورة البقرة، ثم الشيخ علي التلاوي والشيخ منصور الضراري والشيخ علي بن شنين وكثيرا من العلماء و المشايخ كما تذكر كتب التاريخ التي تروي حياته مما قوى علمه وأنمى معارفه فكان بذلك من كبار علماء معسكر، كما تذكر هذه الكتب أيضا أنه تتلمذ على يده الكثير من فقهاء معسكر في المدرسة التي كانت تسمى المدرسة المحمدية، التي كان بها أكثر من سبعة مائة طالب في زمن كانت معسكر تسمى فيه مصر الصغرى من على عكس ما توصف به معسكر اليوم من قبل أناس لا يعرفون عنها إلا الاسم فقط.

لم تكن حياته تخلو من المغامرة و الدسائس، حيث رمي من قبل خصومه الحاسدين بالمشاركة في ثورة درقاوة ضد الأتراك 1217 هـ/1802 م خاصة وأنه كان مقربا من الحاكم التركي .

آثاره العلمية :

لقد كان الإمام أبوراس كثير التآليفن بل قال في آخر كتابه " **فتح الإله** " عن نفسه أنه لا يعلم أحدا أكثر تأليفا منه إلا ما كان من السيوطي، وقال صاحب القول الأحوط ... في كتب أبي راسن بلغت تآليفه على سبيل الإجمال الى مئة وسبع وثلاثين تأليفا .

دور أبي راس الناصر في خدمة التراث التاريخي

كتب وأجاد عدة كتب في التاريخ تعد مصادر هامة ومواد غزيرة لأخبار تلك الفترة من الزمان.

لقد تنوعت مؤلفاته فشملت شتى الفنون والعلوم ولاسيما في مادة التاريخ والتي بلغت أكثر من 34 كتابا[36] وهناك من قال بأنها وصلت نحو50 كتابا ومنهم من قال أنها تكاد تزيد على عدد سنين حياته.[37]

من هذه المؤلفات ما هو متوفر ومعروف، ومنها ما هو مفقود لم يبق سوى عنوانه مثل كتاب " ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس" و"الزهرة الوردية في الملوك

السعدية" و "در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة " و "العز المتين في ملوك بني مرسين" و "الوسائل في معرفة القبائل "[38].

مؤلفات أبي راس الناصري التاريخية :

1-زهرة المشاريخ في علم التاريخ [39]

2-نصرة الرحمن في أخبار الجان كتحف أد ر ومرجان

3-تحفة الإخوان في بيان أرهاط وقبائل الجان

4-در السحابة ومن دخل المغرب من الصحابة [40]

5-درء الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة [41]

6-المعالم الدالة على الفرق الضالة

7-الوسائل الى معرفة القبائل

8-غريب الأخبار عما كان بوهران والأندلس للمسلمين والكفار

9-عجائب الأخبار في لطائف الأسفار عما جرى بوهران والأندلس للمسلمين مع الكفار

10-ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس[42]

11-الزهرة الوردية في الملوك السعدية[43]

12-الخبر المعلوم من كل من إخترع نوعا من أنواع العلوم

13-المسك المروم في أخبار الترك والروم

14-أقوال التأسيس عما وقع أو سيقع من الفرانسيس[44].

15-نور الاقتباس في ذكر ملوك كل جنس من الأجناس .

16-فتح الرحمن في شرف بني زيان وذكر فروعهم إلى هذا الزمان .

17-العز المتين في ذكر ملوك بني مرين .

18-فتح الجواد في الفرق بين آل زيان وآل عبد الواد وذكر ملوكهم الأوطاد.

19-لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان .

20-الزهرة السماوية في أخبار الملوك العلاوية[45].

21-النور الأثقب في طبقات العرب .

22-القصص العمانة في ذكر البربر وزناته[46].

23-القول الأسرب في أخبار أصول وفروع العرب .

24-الكلام الفشاش في أخبار سائر المدن والقرى والأعراش .

25-إزالة اصمم في الفرق بين العرب والعجم .

26-النقل الواضح المشهور من بدء الخليقة إلى النفخ في الصور .

27-مروج الذهب في نبذة من النسب ومن إلى الشرف إنتمى وذهب[47].

28-تحفة النفسا في ملوك فرنسا.

29-المنا والسلو من أول الخليقة إلى بعثة الرسول .[48]

30-الحلل السندسية فيما جرى بوهران والعدوة الأندلسية[49].

31-القصص المغرب والخبر المعرب عن الحال المغرب بما وقع في الأندلس وثغور المغرب[50].

32-عجائب الأسفار ولطائف الأخبار فيما جرى في الأندلس ووهران بين المسلمين والكفار

33-روضة السلوان المؤلفة بمرسى التيطوان في أخبار الأندلس ووهران[51].

34-نباهة القمر من أبناء العمر بأنباء ملوك ورؤساء ومن أحسن منهم ومن أساء.

35-تاريخ جربة".

إن المتصفح لهذه المؤلفات التاريخية يلحظ أنها تكاد تتفق في أغلب معانيها وعباراتها وشروحها مع الإختلاف في المناسبة التي كتب فيها أبوراس هذه المؤلفات.

والغرض الذي إتبعه أبوراس في كتاباته التاريخية يختلف من كتاب لآخر فغايته في عجائب الأسفار ولطائف الأخبار كانت في الأساس إظهار الطاعة للباي محمد بن عثمان خاصة لأنه كان قاضيا ومفتيا ومقربا من الباي مصطفى بوكابوس الذي بنى له مكتبة كبيرة تعرف بمكتبة المذاهب الأربعة .

إلى جانب ذلك كان أبوراس إلى ضعف الثقافة في عصر هو قصور التأليف وفحول العلماء وإلى الحالة التي آلت إليها البلاد في عهدهن بقوله : "وأني في زمن عطلت فيه مشاهد العلم ومعاهده وسدت مصادره وموارده وخلت دياره ومراسمهن وعفت أطلاله ومعالمه لاسيما من التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب، قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عواكف، النسيان وأشرفت شمسها على الأفول، وإستوطن فحولها زوايا الخمول، يتلهفون عن إنداس العلم والفضائل، ويتأسفون من إنعكاس أحوال الأذكياء والأفاضل، وإلى الله المشتكى من دهر إذا أساء صرعلى إساءته .

ويعتبر أبوراس واحدا من المؤرخين الجزائريين الذين أرخوا للعهد العثماني.

فهو لم يستحدث منهجا خاصا بهن فهو كسابقيه من المؤرخين المسلمين إتبع المنهج الذي إعتمد عليه أغلب المؤرخين القدامى الذين كتبوا عن الدول والعهود مثل : اليعقوبين والمسعودين ومع ذلك فهناك مميزات خاصة لكتابات أبي راس التاريخية تشمل اللغة والأسلوب وكذلك نقد الأحداث التاريخية والترجيح فيما بينها .

كما يدخل أبوراس بعض النوادر والطرائف، وذلك للترويح عن نفسه ولإعطاء القارئ فرصة الاستراحة لمواصلة استكشاف كنه وخبايا كتابه وترتيب

الحوادث التاريخية ثم معالجتها، فبقي هذا الجانب مقلدا لمن سبقه من المؤرخين كالطبري، وابن الأثير.

وفي هذا كان يتناول الأحداث التي عاصرها اعتمادا على ما كان يقع خلال كل سنة فعلى حسب الترتيب الزمني.

بهذا كان أبوراس يتقدم في كتاباته على حسب التسلسل الزمني للأحداث التاريخية على طريقة الحوليات، ليس هذا سبب تعدد كتاباته التاريخية فقط وإنما بدافع المنهج الذي إتبعه في تسجيل الأحداث التي عايشها ففي بعض كتبه إعتمد كثيرا على الروايات التاريخية فقد كان ناقلا ومتتبعا للأخبار معتمدا في ذلك على مصنفات من سبقه من المؤرخين، أمثال : ابن خلدون، وابن خلكان، والحافظ التنسي، وبعض الشيوخ، كالشيخ محمد بن عبد المؤمن الجزائري، وسبب تقليد أبي راس لغيره ولمن سبقه في كتاباته التاريخية راجع إلى تأثره بكتابات المؤرخين من بينهم، جلال الدين السيوطي، ومحمد الجبرتي الذي ألف كتابا سماه " عجائب الآثار في التراجم والأخبار " فألف أبوراس كتابا مقتد بالجبرتي فسماه " عجائب الأسفار ولطائف الأخبار "، كما كتب الجبرتي كتابا آخر عن الدولة الفرنسية سماه " مظهر التقديس بذهاب دولة الفرانسيس " فألف أبوراس كتابا سماه " أقوال التأسيس عما وقع أو يقع من الفرانسيس ".

يعتبر فأبو راس موسوعة بالفعل في كل الفنون وخاصة التاريخ، ولكن عندما نسأل طلابنا عن أبي راس فهم يعرفون الجبرتي و السيوطي و إبن الأثير ولايعرفون أبوراس، ماذا يعني هذا ؟ نعرف غيرنا ونجهل أبناء وطننا، لأن مؤلفات غيرنا مطبوعة في متناول الجميع، ولكن مؤلفات أبي راس معظمها إن لم نقل كلها لم تر النور إلى الآن، فكيف نعرف من لم يظهر إلى الوجود ؟

إن شخصية أبي راس قد تجلت واضحة من خلال ما كتبه وما أعتمد عليه من مصادر خدمت موضوعه من هنا يبقى أبوراس فريد عصره بتآليفه الكثيرة وشهرته الواسعة .

وأبوراس يعتبر من المؤرخين الجزائريين الذين دافعوا عن قضيتهم المتمثلة في تحرير الوطن حتى ينعم كامل ربوعه بالأمن والإستقرار، وحتى ترجع الحياة الثقافية والعلمية إلى مجاريها الطبيعية التي لطالما ظلت رائدة في هذا المجال .

بعد هذا المشوار الطويل في التأليف والتصنيف .

توفي أبي راس يوم الأربعاء15 شعبان 1238هـ/ 1823م بعد أن قارب التسعين سنة بعد حياة قضاها كلها في خدمة العلم والدين والوطن رضي الله عنه وأرضاهن ودفن في مدينة معسكر بحي بابا علي .

ما كتب عنه :

-يقول عنه الدكتور عبد الحق زريوخ "هو أبو راس أحمد بن ناصر الراشدي العلامة المحقق و البحر الجامع المتدفق اللافظ بل هو ليث الدين أوثق أساس و أضوأ نبراس الإمام القدوة المتفنن" [52]ولد بنواحي معسكر في يوم 8 صفر 1165 هـ الموافق 27 ديسمبر 1751 م و توفى رحمة الله عليه في يوم 15 شعبان 1238 هـ الموافق 27 أفريل 1823 م و دفن بمعسكر.

-أما الشيخ بن حنيفة العابدين المعسكري فيقول في محاضرة له بعنوان "قطوف من حياة أبي راس الناصري" أن ولادته كانت سنة 1150هـ ويعتمد في هذا القول على كتاب يُعزي أنه قد أُلف بعده بوقت قصير وهو :"القول الأحوط في بيان ما تداول من العلوم والكتب بالمغربين الأقصى والأوسط"[53].

-أما الأستاذة سميرة أنساعد فتقول عن مولده "إذ كان مولده سنة 1150 هـ 1757/م قرب جبل كرسوط بالغرب الجزائري ثم نشأ و عاش فقيرا، توفيت أمه ثم

أبوه فكفله بعدهما أخوه الأكبر الذي سافر إلى معسكر و هناك حفظ أبي راس الناصري القرآن الكريم و تعلم الأحكام ثم الفقه فكان له أن درس منذ صغره في مازونة كتاب مختصر خليل المغربي و أشتهر بذلك ثم تولى القضاء في قرية غريس قرب معسكر، ثم رجع إليها أي معسكر ليزاول التعليم مدة ست وثلاثين سنة متتالية[54]."

قال عنه ابن السنوسي بعد أخلاه بالإمام الحافظ : "كان حافظا متقنا لجميع العلوم عارفا بالمذاهب الأربعة لا يسأل عن نازلة إلا يجيب عنها بداهة كأنها حاضرة بين شفتيه محققا لمذهب مالك غاية لا سيما مختصر خليل فله فيه الملكة التامة بحيث يلقيه على طلبته في أربعين يوما والخلاصة في عشرة أيام وكان شيخنا المطكور حافظ عصره وإمام قطره الشائع عنه لا يزيد على مرة في مطالعة الدرس لما منحه الله من سيلان الذهن وسعة الحافظة ".

حدث عالم وهران السيد الحبيب بن البخاري الوهراني عن أبيه وقد عاصر الشيخ أباراس أن جماعة من تلاميذه تذاكروا في قوة حافظته وكأنهم إتهموه بلاختلاق فركبوا اسما نطق كل واحد منهم بحرف منه وجعلوه إسما لملك وسألوا الشيخ عنه فأملي لهم ترجمته وسيرته وأعماله فاتفقوا على أن الشيخ كاذب ولما طالت المدة وقف أحدهم على الاسم والسيرة في كتاب تاريخي على نحو ما كان أملاه الشيخ أبوراس عليهم فعلموا أن الشيخ صادق وهم مقصرون متهمون الشيخ مما هو منه برئ وهذه حالة كبار الحفاظ مع القاصرين والجاهلين .

وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه ولكل مساعينا جميعا بالنجاح والتوفيق .

قال الله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

[25] – عبد الحي الكتاني : المصدر السابق، ج1ن ص242

[26] –يحي بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ص233

[27] –عبد الحي الكتاني :المصدر السابق، ج1، ص ص 151 – 272ن ج2 ،ص ص 622 - 920

[28] –محمد بن علي السنوسي : البذور الساحرة في عوالي الأسانيد الفاخرة ن مخطوط المكتبة الوطنية، رقم 3142ن ص22

[29] – عبد الحي الكتاني : المصدر السابق، نفس الصفحات

[30] – الطيب المهاجي : أنفس الزخائر وأطيب المآثر في أهم ما أتفق في الماضي والحاضر، مطبعة الشركة الجزائرية، وهران، ص ص 177 - 118

[31] –فتح الاله ومنتهن ص ص 95- 96

[32] –نفس المصدر، ص 107

[33] –نفسهن ص 99

[34] – نفسهن ص110

[35] –نفسهن 102

[36] – محمد سي يوسف : مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد 12ن سنة 1986ن ص 136

[37] –فتح الإله، المصدر السابق، ص ص 182 – 197. ا بن سودة : دليل مؤرخ المغرب، ص 488

[38] – يظهر في تأثر أبي راس بجلال الدين السيوطي في كتاباته التاريخية حيث ألف السيوطي كتابا سماه " دار السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة "

[39] –توجد وثيقة منها عند عائلة من معسكر

[40] – ويسمى الإصابة فيمن دخل المغرب من الصحابة، طبع بتونس، سنة 1884من ناصر الدين سعيدوني : كتاب من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الاسلامي ن ص 462، ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة 1971من ص ص 305 – 306.

[41] –هذا الكتاب موجود بخزانة بمكتبة المهدي البوعبدلي البطيوي وهو عبارة عن كراسة صغيرة

[42] – ابن سودة بن عبد القادر : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكرن بيروت، ط 1971من ج2ن ص151

[43] –نفس المصدر، ونفس الجزء، ص154

[44] –نفسهن ص 490ن محمد بن يوسف الزياني : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،طبعة الجزائر، ص ص 14 - 19

[45] –نفس المصدر، ص 155

[2] – ينسب هذا الاسم الى جدهم الناصر بن عبد الحميد بن عبد الرزاق مؤسس مدينة معسكر راشد بن المرشد القرشي .أنظر: المجلة الإفريقية، العدد الثامن السنة 1864م، ص 152. أبوالقاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافين ج12ن ص391. الهاشمي : حاشية رياض النزهة، ص13

[3]– معظم المصادر والمراجع تثبت هذا التاريخ لمولد أبي راس ماعدا بعض المقالات التي تشكك في صحته.

[4] – تنسب الى أولاد راشد بن محمد من بطون مغراوة .

[5]– كرسوط : هو جبل يقع غرب وادي التاغية بالغرب بالغرب الجزائري، جنوب مدينة معسكر، وهو يحتوي على عدة آثار بربرية .

[6] –هونت : جبل مقابل لجبل كرسوط، حكم هذه المنطقة المرينيين ويرجع نسبهم إلى ذرية أولاد سيدي عمرن أبو سيدي أحمد بنو مربيد، وتقام فيه وليمة سنوية تعرف بوليمة سيدي أحمد.

[7]– محمد حجي : موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامين بيروت، ط 1980س ج 7ن ص 2516 ن سعدالله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافين الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة 1981ن ص 393

[8] –هو حفيد أبي راس الناصر المعسكري إبن إبنته السيدة زولة وهذا الأخير هو رفيق مازونة

[9]–محمد أبوراس الناصري الجزائري : فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته ،حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1990، ص22 - 29

[10] – نفس المصدر، ص 22

[11] – عبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس، المطبعة الجديدة، فا سن 1347هـ/، ج 2، ص 526ن أنظر: ترجمته في الإعلام للزركلي، ج 7، ص 73 .

[12] – أبوراس : فتح الالهن ص60، الإعلام للزركلي، ج7، ص73 .

[13] – أبوراس : المصدر السابق

[14] – نفس المصدر، ص 61

[15] – عبد الحي الكتاني : المصدر السابق، ج 2، ص577 ، يحي بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة، ص 231

[16] – أبوراس : المصدر السابق، ص 44ن عبد الوهاب : المرجع السابق، ص 45

[17] – أبوراس : المصدر السابق، ص45

[18] – محمد عبد الوهاب : المرجع السابق، ص 44

[19] – أبوراس : المصدر السابق، ص44

[20] – عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر، ج 1، ص31

[21] –عبد الحي الكتاني : المصدر السابق ،ج2، ص784

[22] – نفس المصدر، ج2، ص781

[23] – عادل نويهض : المرجع السابق، ص97

[24] –نفس المرجع، ص270

4- أبوسودة عبد السلام بن عبد القادر : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب، بيروت، طبعة 1971

5- يحى بوعزيز : أعلام الفكر والثقافة في الجزائر الإسلامين بيروت، طبعة 1995

6- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج3ن ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ودار الثقافة، بيروت 1982م

7- سعيدوني ناصر الدين : من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامين تراجم ومؤرخين ورحالة وجغرافيين دار الغرب الاسلامين بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1999م

8- الزركلي خير ال دين بن محمود الدمشقي : كتاب الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من المغرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، الطبعة الرابعة 1979م

9- نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، طبعة 1971م

11- لكتاني عبد الحي : فهرس الفهارس، المطبعة الجديدة، فاس 1347هـ/.

12- البستان في ذكر الأولياء بتلمسان: ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، مراجعة: الشيخ محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ماي 1986.

13- بغية الوعاة: السيوطي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت 1998.

14- حاشية رياض النّزهة: بلهاشمي بن بكار، دار النهضة، تونس 1995.

15- الدِّيباج المذهّب: ابن فرحون، دار الكتاب العربي، بيروت 1996.

16- الوفيات: ابن قنفذ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1986

17- المجلة الإفريقية : العدد8 السنة 1864م

18- مختار بوعناني : مؤلفات أبوراس الناصر المعسكرين جامعة وهران 2001م

الهوامش

[1] -أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السّلفن ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1999، ص 25

قائمة المصادر

1- الزياني محمد بن يوسف : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة 1979

3- أبي القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، الجزء الثاني، مطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر/ 1906م.

4-أبي القاسم الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999م.

5- أبو راس الناصري: فتح الإله ومنّتهن تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1998.

11- الكتاني عبد الحي : فهرس الفهارس، المطبعة الجديدة، فاس 1347هـ/.

12- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن أحمد): البستان في ذكر الأولياء بتلمسان: مراجعة: الشيخ محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ماي 1986.

13-: السيوطي: بغية الوعاة، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت 1998.

14- بلهاشمي بن بكار: حاشية رياض النّزهة، دار النهضة، تونس 1995.

15- ابن فرحون: الدّيباج المذهّب، دار الكتاب العربي، بيروت 1996.

16- ابن قنفذ : الوفيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1986

قائمة المراجع

1- للدكتور عبد الحق زريوخ: أبو راس الناصري الجزائري و مؤلفاته".

2 - للشيخ بن حنيفة العابدين المعسكري الجزائري" . قطوف من حياة أبي راس الناصري"

2- للأستاذة سميرة أنساعد: صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني".

3- محمد حجي : موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الاسلامين بيروت، طبعة 1980

[46] -نفسهن ص 106

[47] -نفسهن ص 183

[48] -أبوراس : المصر السابق، ص ص 18 - 21

[49] -ترجمة نسخة منها بحوزة عائلة بمدينة معسكر

[50] -ترجمه الى الفرنسية الجنرال فور بيقين ونشره بالجزائر عام 1903م تحت إسم les vètements de soie fine Alger 1903

[51]- هذا الكتاب موجود بخزانة مكتبة المهدي البوعبدلي البطيوين كما توجد نسخة من هذا المخطوط بمكتبة تونس، قسم المخطوطات.

[52] - الدكتور عبد الحق زروخ : المرجع السابق ،ص 25

[53] * الشيخ بن الحنيفة العابدين المعسكري : 32

[54] - الأستاذة سميرة : المرجع السابق ،ص 15